المغول من خلال مشاهدات الرحالة

" ياقوت الحموي انموذجاً "

أ. م. د. وسن إبراهيم حسين
كلية التربية للعلوم الإنسانية /
ابن رشد/ قسم التاريخ
dr.wasan76@gmail.com

(مُلَخَّصُ البَحث)

عاصر ياقوت الحموي احداث الغزو المغولي لبلاد المشرق الاسلامي فعلى الرغم من قلة المعلومات التي جاء بها الا انها تمتاز بالأهمية البالغة كونه عاصر هذه الاحداث وشهد بعض منها وكان قريبا من البعض الاخر ،فكتب ياقوت عن غزو المغول للمدن ودخولهم وتخريبهم لها وقتل الناس وحرقهم وهذا جاء نتيجة الأهوال التي اصابت الناس ،فقد خربت ودمرت المدن الا انها استطاعت النهوض والازدهار مرة اخرى فوصف ياقوت لهذه المدن وما اصابها خلال كان من خلال ما شاهده وما كان موجودا في زمانه .

الكلمات المفتاحية: المغول، ياقوت الحموي، مشاهدات

المقدمة :

يعد الغزو المغولي من أهم الاحداث ذات الأثر الكبير في التاريخ الإسلامي بكل نواحيه السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية. إذ استطاع جنكيز خان ان يوحد هذه القبائل التي تسكن المنطقة الواقعة بين بحيرة بيكال في الغرب وجبال كنجان على حدود منشوريا في الشرق. واتجه نحو المشرق الإسلامي الذي كان يعج بعدد كبير من الدول الطوائف. وكانت اقوى دولة اسلامية هي دولة خوارزم كانت ذات موارد عسكرية ومالية الا انها خاضعة لطبقة عسكرية من أتراك ما وراء النهر الأمر الذي أثارت كراهية السكان، فتمكن جنكيز خان ان يجهز حملة على هذه الدولة الإسلامية بمدة وجيزة لم تزد على أربع سنوات مبتدأ بما وراء النهر ثم خرسان .وكتب عدد من المؤرخين والجغرافيين العرب عن بداية الغزو المغولي للعالم الإسلامي منهم ياقوت الحموي وابن الأثير والجويني في كتابه (جهان كشاي) وغيرهم.

وسأحاول في بحثي هذا أقدم الصورة التي رسمها ياقوت الحموي للغزو المغولي ومشاهدته للمدن والقرى التي شاهدها بعينه وما لحق بها من خراب ودمار اثناء فراره من المغول بعد سماعه اخبار قدومهم إلى مدينة خوارزم.

ان المعلومات التي قدمها ياقوت الحموي عن الغزو المغولي للعالم الإسلامي مبعثرة في كتابه معجم البلدان فهي قرابة ثلاثين نصاً بين طويل وقصير تناولنا في بحثنا هذا جزء كبير منها فضلاً عن الرسالة التي بعث بها بعد هروبه من المغول واستقراره في الموصل سنة ٦١٧ هـ/ ١٢٣٩م إلى الوزير القاضي الاكرم وزير السلطان الظاهر بن صلاح الدين صاحب حلب.

وهدف الباحثة من هذا البحث هو نقل حال المدن والقرى التي شاهدها ياقوت الحموي في اثناء فراره من المغول وما جرى فيها من خراب ودمار إذ كان قد شاهدها بنفسه، فضلاً عن ذلك اسفاره الطويلة إلى بلاد المشرق الإسلامي التي مكنته من الاطلاع على هذه المناطق والاتصال بسكانها فاصبح عارفاً بما كان يسود بين الناس من الاعتقادات وما يظهر من اشاعات.

السيرة الذاتية لياقوت الحموي:

هو شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي أبو عبد الله (المنذري، ١٩٥٧، ص ٣٧٣-٣٧٤؛ ابن خلكان، ١٩٦٨، ص ١٢٧-١٣٩؛ الذهبي، ١٩٩٥، ص ١٩٨) (Abnkhulkan, 1968, P.127-139; Almandhiriu, 1957, P.373-374; Aldhahabiu, 1995, P.198)، ولقب بالقاب عدة، منها الرومي والبغدادي والحموي (ابن خلكان، ١٩٦٨، ص ١٢٧؛ اغناطيوس، ١٩٥٧، ص ٣٣٨). (Ignatius, 1957, P.338; Abnkhulkan, 1968, P.127)، فهو ياقوت الحموي الرومي الجنس والمولد الحموي المولد البغدادي الدار (ابن خليكان، ١٩٦٨، ص ١٢٧) (Ibnkhalkan, 1968, P.127). سمى نفسه يعقوب فلم يشتهر به وولد ياقوت الحموي سنة (٥٧٤ هـ/ ١١٧٨م) أو (٥٧٥ هـ/ ١١٧٩م) وهذا ما ذكره المنذري (المنذري، ١٩٥٧، ص ٢٥) (Almandhiriu, 1957, P.25) الذي عاصره وسمع منه.

شهد ياقوت الحموي في بداية حياته الكثير من القسوة والصعوبات ذلك انه اسر وهو صغير لا يتجاوز الخمس أو ست سنين ثم ابتيع في بغداد لتاجر حموي يسكن بغداد اسمه عسكر بن ابي نصر إبراهيم الحموي (القفطي، ١٩٧٣، ص ٧٤) (Alqafti, 1973, P.74). افاد ياقوت من صحبة سيده إذ عنى بتعليمه الخط فادخله الكتابَّ حتى يكون له العون في ضبط وادارة امور تجارته كما علمه النحو واللغة (القفطي، ١٩٧٣، ص ٧٥) (Alqafti, 1973, P.75) وعمل ياقوت في التجارة مما وسع افاق نظره للحياة فاطلع

ياقوت على دكاكين الوارقين واقتنى الكتب ونسخ بعض منها (التوانسي، ١٩٧١، ص ٦٢) (Altawansiu, 1971, P.62). فزار مدن عدة منها بلجان وكيش وزار الأخيرة اربع مرات ودخل مصر مرات عدة. وقد اعتقه مولاه سنة (٥٩٦ هـ/ ١١٩٩م) على اثر نبؤة جرت بينهما. وبعد وفاة سيده بدأت حياة الاسفار والرحلات فاشتغل بتجارة الكتب ففي عام (٦٠٧ هـ/ ١٢٢٩م) ارتحل إلى الشام ومعه عدد من المخطوطات للمتاجرة بها (الهي، ١٩٧٨، ص ٢١) (Alhi, 1978, P.21). كما وقصد حلب سنة (٦٠٩ هـ/ ١٢٣١م) فالتقي بالوزير القفطي وزير السلطان الظاهر بن صلاح الدين الأيوبي صاحب حلب، فالتقى هناك عدداً من الأدباء يترددون إلى مجلس القاضي.

وفي عام (٦١٠ هـ/ ١٢١٣م) سافر إلى تبريز ثم عاد إلى حلب سنة (٦١١هـ/ ١٢٣٣م) والتقى مرة أخرى بالوزير القفطي، وفي عام (٦١٢هـ/ ١٢٣٤م) ارتحل إلى مصر وكانت رحلته تجمع بين التجارة والدراسة والتقى هناك بابن منقذ[1] إذ باعه العديد من الكتب (ياقوت الحموي، ١٩٨٥، ص ١٩٣) (Yaqut al-Humwi, 1985, P.193). وفي عام (٦١٣ هـ/ ١٢٣٥م) ارتحل إلى حلب وزار ابن القفطي إذ جلب له كتباً كانت وديعة لغيره (القفطي، ١٩٧٣، ص ٧٦) (Al qafti, 1973, P.76).

واتجه إلى دمشق ثم سار إلى الموصل مستمراً بالبحث والدراسة والنسخ فالتقى بعلماء الموصل منهم ياقوت بن عبد الله الرومي الخطاط ويحيى بن سعيد المبارك، ثم دخل اربل إذ التقى فيها بابن المستوفي واستمرت رحلته متجهاً نحو المشرق فكان يتاجر وينسخ ويؤلف فدخل خوارزم من اعمال الري فوجدها خراب، ثم ارتحل إلى الشاذباخ فاستطابها وهنا كان قد مر بمرحلة مأساوية من حياته متمثلة بفقده للمرأة التي احبها وهي جارية تركية كان قد اشتراها وعبر عن حالة الحرمان هذه في نظم شعراً يصف فيه شدة تعلقه بها وحسرته على خسارتها.

لذلك فؤادي لايزال مروعاً

ودمعي لفقدان الحبيب سكوبٌ

(ياقوت الحموي، ١٩٨٥، ص ١١٢) (Yaqut al-Humwi, 1985,P.112)

وبعد هذه المدة المريرة ترك الشاذباخ ودخل نيسابور ثم مرو مروراً بقرية (جنوجود) فالتقى هناك العديد من العلماء والنسابة فضلاً عن اطلاعه على خزانة الكتب التي كانت في مدينة مرو إذ قال: " وفيها عشر خزائن للوقف لم ار في الدنيا مثلها كثرة وجوده منها

[1] ابن منقذ: عضد الدين مرهف بن مؤيد الدولة اسامة بن منقذ الكناني الشيزري أبو المظفر، امير من اكابر بني منقذ أصحاب قلعة شيزر بقرب حماة، له عدة مؤلفات اهمها اميرته سماها الاعتبار كان مقرباً من الملوك والسلاطين وقد دعاه صلاح الدين إلى دمشق وكان قد تجاوز ٨٠ عاماً.

خزانتان في الجامع احداهما يقال لها العزيزية ... وفيها اثنا عشر الف مجلد أو ما يقاربها والأخرى يقال لها " كمالية .... " (ياقوت الحموي، ١٩٨٥، ص ٢٥٤-٢٥٥) (Yaqut al-Humwi, 1985, PP.254-255). بقى ياقوت في مرو حوالي ٣ سنوات ثم اتجه في عام (٦١٦ هـ/ ١٢٣٨م) إلى خوارزم إذ التقى بها عدد من العلماء لازمهم في القراءة والسماع، ثم ترك ياقوت خوارزم ماراً بمدينة سبرني عام (٦١٧ هـ/ ١٢٣٩م) خوفاً من المغول فجر بالعديد من المدة التي خربها المغول منها بغشور وبيرو زكوه وهراة، وفي هراة وصل اسماعه هجوم المغول إلى مدن وقرى خوارزم فهرب مما فعله المغول من تخريب وحرق وسلب حتى وصل إلى نيسابور ماراً ببلدة سمنقان الواقعة بالقرب من جاجرم [٢] (ياقوت الحموي، ١٩٨٥، ص ٢١) (Yaqut al-Humwi, 1985, P.21). ثم وصل إلى دبناوند فالري فمدينة خلخال واجتاز بحيرة ارمينية فمدينة اشنه [٣] وهي اخر اذربيجان من جهة اربل إذ وصلها سنة (٦١٧ هـ/ ١٢٣٩م) على ما ذكره ابن المستوفي (ابن المستوفي، ١٩٨٠، ص ٣٩١) (Abn al Mustawfi, 1980, P.391).

ثم وصل إلى الموصل إذ تقطعت به الأسباب واغوزه قلة المأكل وخشن الثياب فارس رسالة إلى ابن القفطي يشرح له ظروفه، فارتحل إلى سنجار ومنها إلى حلب إذ سكن مع ابن القفطي فاقام عدة سنين فاطلعه ابن القفطي عن كثب وعلوم كثيرة فنسخ وباع منها (القفطي، ١٩٧٣، ص ٧٧) (Al qafti, 1973, P.77). وفي عام (٦٢٤ هـ/ ١٢٤٦م) ارتحل إلى فلسطين إذ سكن بيت المقدس ثم ذهب إلى مصر بتجارة انتفع منها ثم عاد إلى حلب فاقام في خان بظاهر حلب حتى وافاه الاجل عام (٦٢٦ هـ/ ١٢٤٨م) في ٢٠ من رمضان (القفطي، ١٩٧٣، ص ٧٧) (Al qafti, 1973, P.77).

وكان قد أوصى بكتبه إلى ابن الأثير الموصلي (القفطي، ١٩٧٣، ص ٧٧) (Al qafti, 1973, P.77) الذي كان مقيماً في حلب على ان يسير بها إلى بغداد لتكون وقف المسجد الزيدي بدرب دينار ببغداد، اما بقية ماله فأوصى به إلى ولد سيده تطبيقاً بحقوق المولي لسيده فاذا توفى المولي ولم يكن له وريث فيرجع ارثه إلى سيده.

---

[٢] جاجرم: بلدة لها كورة واقعة بين نيسابور وجوين وجزجان تشمل على قرى كثيرة وبلد حسن وبعض قراها في الجبل المشرف على ازاذوار محسبة جوين رايت بعض قراها.

[٣] اشنه: بلدة شاهدتها طرف اذربيجان من جهة اربل بينها وبين اربل ٥ ايام وهي ذات بساتين فيها كمثرى يحمل إلى جميع ما يجاورها إلا أن الخراب فيها ظاهر وكان ورودي اليها متجاوزا من تبريز سنة ٦١٧هـ/١٢٢٠م.

وكان لهذه الرحلة العلمية الطويلة التي قام بها ياقوت وما قاساه من سوء الحالة الاقتصادية والتعب والحرمان اثر في صقل شخصيته جعلته حجة ثبتاً فيما ألفه وزاده قدره على ان يصنف مؤلفات عدة في مختلف العلوم.

مؤلفاته :

المؤلفات المطبوعة لياقوت الحموي هي "المقتضب من كتاب جمهرة النسب"، و"معجم الأدباء"، "معجم البلدان"، "المشترك وضعاً والمفترق صقعاً". اما المؤلفات المفقودة فمنها كتب اللغة والأدب مثل كتاب الرد على ابن جني عند كلامه في الهمزة والالف من كتاب سر الصناعة، وكتاب اوزان الأسماء والأفعال الحاصرة لكلام العرب، وكتاب اخبار النحويين، وكتاب اخبار المتنبي، وكتاب نهاية العجب في ابنية كلام العرب، وكتاب ضرورة الشعر وغيرها (القفطي، ١٩٧٣، ص ٧٩؛ الهي ، ١٩٧٨، ص ٢٩-٣٦) (Al qafti, 1973, P.79; Alhi, 1978, P.36-29).

اما الكتب التاريخية المفقودة فهي كتاب (اخبار الوزراء، وكتاب الدول، وسيرة شهاب الدين الغوري، وكتاب المبدأ والمال، وكتاب اهل النحل وقصص ذوي الأهواء والملل) (ياقوت الحموي، ١٩٨٥، ص ١٠٣؛ البغدادي، د.ت، ص ٤٠٠) (Yaqut al Humwi, 1985, P.13; Al Baghdadi, h.d, P. 400).

روايات ياقوت الحموي عن اجتياح المغول للمشرق الإسلامي (٦١٦-٦٢٦ هـ/ ١٢٣٨-١٢٤٨م) :

أولاً: احداث اجتياح المشرق الإسلامي من الغزو المغولي:

اجتاح المغول العالم الإسلامي عند دخولهم إقليم خوارزم سنة (٦١٦ هـ/ ١٢٣٨م) (ابن الأثير، ١٩٧٩، ص ٣٣٥؛ بشار، ١٩٦٥، ص ٤٨) (Abn Al'athir, 1979, P.335; Bashshar, 1965, P.48)، ولم يتوقفوا عند هذا الحد، بل اندفعوا بقوة واجتاحوا المشرق الإسلامي حتى وصلوا إلى بغداد واسقطوا الخلافة العباسية سنة (٦٥٦ هـ/ ١٢٥٨م)، وعاثوا في الأرض فساداً واستباحوا الحرمات وهدموا المعالم الحضارية واتلفوا المكتبات (ابن العبري، ١٩٩٢، ص ٢٧٠-٢٧١؛ أبو الفداء، ١٩٦٠، ص ١٩٣؛ الخالدي، ١٩٨٤، ص ٨٦) (Abn Aleibri, 1992, P.270-271; Abu Alfada, 1960, P.193; Al Khalidi, 1984, P.86).

وجاءت مرويات ياقوت الحموي عنهم باسم التتار، لان المغول كانوا قبائل مستقلة عن التتار في بداية ظهورهم مطلع القرى السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي وعاشوا بجوار التتار وكانت الصراعات مستمرة فيما بينهم، فطغت تسمية التتار فيما بعد وأخذت تطلق على الشعوب التي خضعت لجنكيزخان. ووصف ياقوت الحموي المغول بالوحشية والهمجية

لما ارتكبوه من اعمال تخريب وقتل وتدمير لكل ما صادفوه في طريقهم (الجويني، ١٩١٥، ص ١١٠؛ العريني، ١٩٨١، ص ٣٤؛ اللهيبي، ٢٠١٣، ص ٣٣) (Aljuini, 1915, P.110; Alearini, 1981, P.34; Al Lahibi, 2013, P.33) فقال عنهم: " فانا لله وانا اليه راجعون من مصيبة مادهى الإسلام قط مثلها " (ياقوت الحموي، ١٩٨٥، ص ٣٣٢) (Yaqut al-Humwi, 1985, P.332). وبشأن هذه الموجة العاتية اورد مؤرخنا روايات عدة عن الغزو المغولي كانت مبعثرة في كتابه " معجم البلدان " فهي قرابة ثلاثين نصاً بين طويل وقصير وامتاز بعضها بالاختصار في رواياتها الا انها كانت من الأهمية التاريخية إذ انه كان معاصراً لهذه الاحداث وشاهد عيان على اغلبها أو كان قريباً من احداث بعض منها إذ نقل ياقوتاً صوراً عن الخراب والدمار الذي احدثه المغول عند اجتياحهم للمشرق الإسلامي والتي شاهد قسماً من اثارها بنفسه أو سمع باخبارها من اشخاص كانوا قريبين من الحدث ، وبما ان ياقوت الحموي يملك رؤية علمية متفحصة استطاع ان يقدم صورة من أروع صور نقده للرواية التاريخية فقال: " على انه قد جرى في ايامنا هذه وعصرنا هذا الذي نحن فيه سنة سبع عشر وثماني عشر وستمائة من التتر الواردين من ارض الصين ما لو استمروا لملكوا الدنيا كلها في أعوام يسيرة، فانهم ساروا من أوائل ارض الصين إلى ان خرجوا من باب الأبواب[٤]، وقد ملكوا وخربوا من البلاد الإسلامية ما يقارب نصفها، لانهم ملوكوا ما وراء النهر وخراسان وخوارزم وبلاد سجستان ونواحي غزنة[٥] وقطعة من السند[٦] وقومس[٧] من ارض الجبل باسره غير اصبهان وطبرستان واذربيجان واران وبعض ارمينية وخرجوا من الدربند، كل ذلك في اقل من عامين وقتلوا اهل كل مدينة ملكوها، خذلهم الله وردهم من حيث جاءوا ثم انهم بعد خروجهم من الدربند ملكوا بلاد الخزر[٨] واللان[٩] وروس[١٠] وسقسين[١١] وقتلوا القبجان[١٢] في بواديهم حتى انتهوا إلى

---

[٤] باب الأبواب: مدينة على بحر طبرستان في وسطها مرسى للسفن وعليها سور من الحجارة وهي الدربند ودربند شروان .

[٥] غزنة: وهي مدينة عظيمة وولاية واسعة في طرف خراسان، وهي الحد بين خراسان والهند.

[٦] السند: وهي بلاد ما بين الهند وكرمان وسجستان.

[٧] قومس: كورة في ذيل جبال طبرستان تشمل مدناً وقرى ومزاع، وهي بين الري ونيسابور.

[٨] بلاد الخزر: وهي بلاد عريضة يتصل بها من احدى جناباتها جبل عظيم يمتد إلى بلاد تفليس والخزر هو اسم الإقليم.

[٩] اللان: بلاد واسعة وامة كثيرة لهم بلاد متاخمة للدربند في جبال القبق، وفيهم مسلمون والغالب عليهم النصرانية.

[١٠] روس: امة من الأمم متاخمة لبلاد الصقالبة والترك ولهم لغة ودين وشريعة لايشاركهم فيها احد.

[١١] سقيسين: بلدة في بلاد الخزر عظيمة اهلها اربعون قبيلة من الخز اهلها مسلحون على مذهب ابي حنيفة ومنهم على مذهب الامام الشافعي.

[١٢] القبجان: هم فرع من الترك يطلق عليهم المجربون والبيزنطيون اسم الكرمان، اما الروس اطلق عليهم اسم بولفستي وكانوا يسكنون الجبال والغياض من وراء دربند شروان مما يلي بحر الروس ولهم عليه مدينة تسمى سرداق.

بلغار فينحو عام اخر" (ياقوت الحموي، ١٩٨٥، ص ١٨٢-١٨٩) (Yaqut al-Humwi, 1985, P.182-189).

وصف لنا ياقوت الحموي بعض مناطق التي مر عليها في طريقه إلى خوارزم وكيف أدركها سنة (٦١٦هـ/١٢١٩م) قبل استيلاء المغول وما جرى عليها بعد هذا الغزو وكان ياقوت قد ركب على متن سفينة ليجتاز نهر جيجون حتى يصل إلى خوارزم فقال فيها:"قدمت اليها في شوال ٦١٦ قبل ورود التتر إلى خوارزم باكثر من عام وخلفتها على ما وصفت ولا ادري ما كان من امرها بعد ذلك " (ياقوت الحموي، ١٩٨٥، ص١٤١) (Yaqut al-Humwi, 1985, P.141)، واستمر ياقوت مسيره حتى وصل هزار اسب[١٣] واصفاً احوالها قائلاً : " عهدي بها في سنة ٦١٦ والله اعلم بما جرى عليها من فتنة التتر لعنهم الله" (ياقوت الحموي، ١٩٨٥، ص ٤٠٤) (Yaqut al-Humwi, 1985, P.404). وبعدها توجه نحو الجرجانية [١٤] إذ قال: " وكنت رأيتها في سنة ٦١٦ قبل استيلاء التتر عليها وتخريبهم اياها فلا اعلم اني رأيت اعظم منها مدينة ولا أكثر اموالاً واحسن احوالاً ، فاستحال ذلك كله بتخريب التتر اياها حتى لم يبق فيما بلغني الا معالمها وقتلوا جميع ما كان بها " (ياقوت الحموي، ١٩٨٥، ص ١٢٢) (Yaqut al-Humwi, 1985, P.122). ووصل بعد ذلك إلى غوشفنج فقال: " عهدي بها كذلك في سنة ٦١٦ ثم دخل التتر تلك البلاد ولا ادري ما حدث بعدي" (ياقوت الحموي، ١٩٨٥، ص ٢١٩) (Yaqut al-Humwi, 1985, P.219). وعند وصول ياقوت إلى مدينة خوارزم التي زارها سنة (٦١٦ هـ/ ١٢١٩م) قال: " انه لم يرَ أحسن منها ... واما الان فقد بلغني ان التتر صنف من الترك وردوها سنة ٦١٨ وخربوها وقتلوا أهلها وتركوها تلولاً " (ياقوت الحموي، ١٩٨٥، ص ٣٩٥) (Yaqut al-Humwi, 1985, P.395). وقد أكدت بعض المصادر التاريخية (ابن الأثير، ١٩٩٧، ص ٣٦٠-٣٦٢؛ الجويني، ١٩١٥، ص ١٣١؛ الذهبي، ١٩٩٥، ص ٥٢) (Abn Al'athir, 1997, P.360-362; Al Juini, 1915, P.131; Aldhabi, 1995, P.52) دخول المغول إلى مدينة خوارزم وما جرى بها على يدهم.

ثانياً: مسيرة ياقوت الحموي نحو خراسان منهزماً من المغول :

عند سماع ياقوت الحموي بقدوم المغول نحو خوارزم قرر الخروج منها وفي اثناء رجوعه منها إلى خراسان متنقلاً من بلد إلى آخر وصف البلدان التي مرَّ بها وما أصابها من خراب ودمار جراء غزو المغول لهما.

---

[١٣] هزارأسب: قلعة حصينة ومدينة جيدة الماء محيط بها كالجزيرة بينها وبين خوارزم ثلاثة ايام.

[١٤] الجرجانية: مدينة عظيمة على شاطئ نهر جيحون واهل خوارزم يسمونها كركانج.

ومن هذه المدن مدينة سبرني وسمنقان وقال فيها " رأيتها إذ كنت هارباً من التتر في سنة ٦١٦ " (ياقوت الحموي، ١٩٨٥، ص ٢٥٤) (Yaqut al-Humwi, 1985, P.254) وبعدها خرج ياقوت منها ودخل شهرستان[١٥] وهي من مشاهداته قائلاً: " رأيتها في سنة ٦١٧ هـ وقت هربي من خوارزم من التتر الذين وردوا وخربوا البلاد فوجدتها مدينة ليس بقربها بستان ومزارعها بعيداً منها، والرمال متصلة بها، وقد شرع الخراب فيها وقد جلا أكثر أهلها من خوف التتر" (ياقوت الحموي، ١٩٨٥، ص ٣٧٧) (Yaqut al-Humwi, 1985, P.377)، وبعد ذلك غادرها ياقوت منهزماً حتى وصل بنج دية[١٦] وقال فيها "فارقتها في سنة ٦١٧ هـ، قبل استيلاء التتر على خراسان ومقتلهم اهلها وهي من اعمر مدن خراسان، ولا ادري إلى أي شيء إلى أمرها " (ياقوت الحموي، ١٩٨٥، ص ٤٩٨) (Yaqut al-Humwi, 1985, P.498)، وشاهد أيضاً مدينة بيروزكره [١٧] وهي خربت بفعل فصول التتار اليها، وربما يعود اثار خرابها الذي شاهده إلى حروب علاء الدين محمد الخوارزمي فقال عنها: " رأيتها في سنة ٦١٧هـ كالخراب " (ياقوت الحموي، ١٩٨٥، ص ٥٢٦) (Yaqut al-Humwi, 1985, P.526).

وعلى اثر فرار ياقوت الحموي من التتار وصل إلى مدينة الري[١٨] فقال عنها: " واتفق اني اجتزت في خرابها سنة ٦١٧هـ وانا منهزم من التتار فرأيت حيطان خرابها قائمة ومنابرها باقية وتزاويق الحيطان بحالها لقرب عهدها بالخراب الا انها خاوية على عروشها " (ياقوت الحموي، ١٩٨٥، ص ١١٦) (Yaqut al-Humwi, 1985, P.116).

إلا أن حب الباحث وراء الحقيقة والخبر اليقين عن أحوال هذه المدينة وما آل اليها من دمار جعله يسأل احد عقلائها عن سبب هذا الحزب، فأجابه الرجل ان السبب وراءه كان الحروب بين الطرائف التي تسكن المدينة.

وواصل ياقوت الحموي مسيرة حتى وصل إلى اردبيل [١٩] فقال عنها: "نزل عليها التتار وأبادوهم بعد انفصالي عنها، وجرت بينهم وبين اهلها حروب ومانعوا عن أنفسهم احسن ممانعة حتى صرفوهم عنهم مرتين، ثم عادوا اليهم في الثالثة فضعفوا عنهم، فغلبوا أهلها عليها وفتحوها عنوة وأوقعوا بالمسلمين وقتلوهم ولم يتركوا منهم احداً وقعت عينهم عليه ولم ينج منهم الا من اخفى نفسه عنهم، وخربوها خاباً فاحشاً ثم انصرفوا عنها وهي على صورة

---

[١٥] شهرستان، بليدة بخراسان وهي بين نيسابور وخوارزم واليها تنتهي بادية الرمل التي بين خوارزم ونيسابور فانها على طموحه.

[١٦] بنج دية: وهي خمس قرى متقاربة من نواحي مرو الرود ثم من نواحي خراسان عمرت حتى اتصلت العمارة بالخمس قرى وصارت كالمحال بعد ان كانت متفرقة.

[١٧] بيروز كرة: قلعة قرب دنبا وند من اعمال الري مشرفة على بليدة لها ويمة

[١٨] الري: مدينة مشهورة من امهات البلاد واعلام المدن كثيرة الفواكه والخيرات

[١٩] اردبيل: وهي من اشهر مدن اذربيجان.

قبيحة من الخراب وقلة الأهل، والان عادت إلى حالتها الأولى واحسن وهي في يد التتار " (ياقوت الحموي، ١٩٨٥، ص ١٤٥) (Yaqut al-Humwi, 1985, P.145). بعد مراجعتي للمصادر وجدت ان ياقوتاً قد انفرد بذكر هذه الرواية عن اردبيل وما جرى عليها جراء الغزو المغولي كونه شاهد عيان.

واستمر ياقوت بهربه من التتر حتى انتهى به الحال إلى سروا [٢٠] فذكرها قائلاً: " خربها التتر ، لعنهم الله في سنة ٦١٧ هـ وقتلوا كل من وجوده فيها" (ياقوت الحموي، ١٩٨٥، ص ٢٠٤) (Yaqut al-Humwi, 1985, P.204)، ويعدها قصد بيلقان[٢١] وقال عنها " وجاءها التتر سنة ٦١٧ هـ فقتلوا كل من وجدوه بها قاطبة ونهبوها ثم احرقوها فلما انفصلوا عنها تراجع اليها قوم كانوا هربوا عنها وانظم اليهم اخرون وهي الان متماسكة " (ياقوت الحموي، ١٩٨٥، ص ٥٣٣) (Yaqut al-Humwi, 1985, P.533).

وقد اشار ابن الأثير (ابن الأثير، ١٩٧٩، ص ٣٥٢-٣٥٧؛ اليافعي، ١٩٩٧، ص ٣٠) (Abn Al'athir, 1979, P.3520357; Alyafieiu, 1997, P.30) إلى رواية عن استيلاء المغول على البلقان واعادة تعميرها فيما بعد.

وعند وصوله تبريز قال عنها: " ومرَّ بها التتر لما خربوا البلاد في سنة ٦١٨ هـ/١٢٢١م فصالحهم اهلها ببذول بذلوها لهم فنجت من ايديهم وعصمها الله منهم"(ياقوت الحموي، ١٩٨٥، ص ١٣٨) (Yaqut al-Humwi, 1985, P.138) واتفق ابن الأثير (ياقوت الحموي، ١٩٨٥، ص ٣٤٦؛ ابن ابي حديد، ١٩٩٥، ص ٤٦) (Yaqut al-Humwi, 1985, P.346; Abn Abihadid, 1995, P.46)مع ياقوت الحموي في روايتهما عن هذه المدينة، ثم اتجه إلى اشنه فقال عنها " وكان ورودي اليها مجتازاً من تبريز سنة ٦١٧ هـ" (ياقوت الحموي، ١٩٨٥، ص ٢٠١) (Yaqut al-Humwi, 1985, P.201). واخيراً عاد ياقوت من رحلته الطويلة من المشرق حتى وصل إلى اربل سنة ٦١٧ هـ/ ١٢٢٠م " (ابن المستوفي، ١٩٨٠، ص ٢٠١) (Abn Almustawfi, 1980, P.201) ثم واصل مسيرة وانتهى به المطاف إلى الموصل وعند وصوله اليها سنة (٦١٧ هـ/ ١٢٣٧م) كتب هناك رسالة بعثها إلى الوزير القاضي الاكرم جمال الدين ابي الحسن يحيى بن يوسف بن إبراهيم القفطي الشيباني (ت ٦٤٦ هـ/ ١٣٨٤م) وزير السلطان الظاهر بن صلاح الدين الايوبي صاحب حلب، يصف فيها حاله وما جرى عليه من اهوال الغزو المغولي وما شاهده من خراب ودمار فجاء في بعض منها:- " إلى ان حدث بخراسان ما حدث من الخراب والويل المبير والقباب وكانت لعمر الله بلاداً موفقة الارجاء رائقة الانحاء

[٢٠] سروا: مدينة باذربيجان بينها وبين اردبيل ثلاثة ايام.
[٢١] بيلقان: مدينة قرب الاربند أو باب الأبواب، وهي في ارمينية الكبرى بالقرب من شروان.

ذات رياض اريضة ... فجاس خلال تلك الديار. اهل الكفر والالحاد وتحكم في تلك الابشار اولو الزيغ والعناد فأصبحت تلك القصور كالمحو من السطور واضلت تلك الاوطان مأوى الصدى والغربان تتجاوب في نواحيها البوم وتتناوح في ارجائها الريح السموم يستوحش فيها الأنيس ويرثي لمصابها ابليس ... فانا لله وانا اليه راجعون من حادثة تقصم الظهر وتهدم العمر وتفت في العضد وتوهي الجلد تضاعف الكمد وتشيب الوليد وتنخب لب الجليد، وتسود القلب، وتذهل اللب فعينئذ تقهقر المملوك على عقبيه ناكصاً، ومن الأوبة إلى حيث تستقر فيه النفس بالأمن آساً، بقلب واجب، ودمع ساكب، ولب عازب، وحلم غائب، وتوصل، وما كاد حتى استقر بالموصل بعد مقاساة اخطار، وابتلاء واصطبار، وتمحيص الأوزار، واشراف غير مرة على البوار والتيار، لانه مرَّ بين سيوف مسلولة، وعساكر مغلولة، وتطم محلولة ودماء مسكوبة مطلولة وكان شعاره كلما على قتبا أو قطع سبسبا : " لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً " (سورة الكهف، آية ٦٢) (Surat Alkahf, Aya 62).

فالحمد لله الذي اقدرنا على الحمد، واولانا نعماء تفوت الحصر والعد وجملة الأمر انه لولا فسحة في الاجل لعزان يقال: سلم من الباس اوصل، ولصفق عليه اهل الوداد صفقة المغبون والحق بالف الف الف الف هالك بايدي الكفار أو يزيدون وخلف خلفه جل ذخيرته، ومستمد معيشته.

والمملوك الان بالموصل مقيم يعالج مما خربه من هذا الأمر المقعد المقيم، يزجي وقته ويمارس حرفته وبخته تكاد تقول له باللسان القويم (" تالله انك لفى ضللك القديم) (سورة يوسف، آية ٩٥) (Surat Yusuf, Aya 95) " (القفطي، ١٩٧٣، ص ٩٠-٩٧).

الخاتمة :

١- عَدَّ ياقوت كغيره من الكتاب المسلمين ان المغول صنف من الترك ولم يبحث في سبب الغزو وعوامله انما اعتبره غضباً من الله، إذ بين لنا ما ساد ذلك العصر من الايمان بالقضاء والقدر وان الأمور خيرها وشرها من الله تعالى، مما أدى إلى ضعف نفوس الناس وعدم قدرتهم على الدفاع عن بلادهم دفاعاً فيه الحماس والتضحية.

٢- على الرغم من قلة المعلومات التي جاء بها ياقوت الحموي عن الغزو المغولي للعالم الإسلامي الا انها تتميز بأهميتها البالغة، فقد عاصر الرجل الاحداث وشهد بعضها وكان قريباً من البعض الاخر، وشهد كيف كان يعز من المغول بعد فتحهم لكل مدينة، مما ساعده على الاتصال بسكان هذه المناطق فاصبح عارفاً بها وبما يسود بين الناس من الاعتقادات وما يظهر من اشاعات.

٣- ان نتائج الغزو المغولي في كتابات ياقوت مهمة ولاسيما التخريب الذي اصاب بلاد المشرق الإسلامي نظراً لمعاصرته وقربه من الاحداث وبين ياقوت امراً مهماً هو ان المغول لم يخربوا المدن التي لم تقاومهم ولم يتعرضوا لأهلها كما في حديثه عن تبريز. ومما يذكر هو اشارة ياقوت إلى ان بعض المدن قد عادت لازدهارها بعدما اصابها الكثير من القتل والتخريب كما في قوله عن مدينة اردبيل وبيلقان.

٤- أصبح من الصعب ان ننكر تخريب المغول للمدن وحرقهم الناس وقتلهم على الرغم من وجود بعض المبالغات عند المؤرخين المسلمين، ان هذه المبالغات تعود إلى هول ما اصاب الناس حيث انهم لم يشهدوا مثل هذا من قبل ولم يسمعوا عن شيء يشابهه. ولاشك ان ياقوت حين قال على بعض المدن عادت لازدهارها فهو يصور ما كان موجوداً في زمانه. ان رواية ياقوت التي أوردها عن بعض المدن وازدهارها فهو يؤكد الشك في النظرية القائلة ان المغول يخربون المدن لخوفهم منها ولكونهم رعاة، والا ما سمحوا بعودة ازدهار المدن بعد استيلائهم عليها. اما تخريب الاسوار وعدم السماح ببنائها فانه امر لا تستطيع تأكيده.

المصادر الأولية والمراجع الحديثة

أولاً: المصادر الأولية:

١-ابن الأثير، أبو الحسن علي بن ابي الكرم (١٩٩٧)، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت.

٢-البكري، أبو عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي (١٩٩٢)، المسالك والممالك، دار الغرب الإسلامي.

٣-ابن ابي حديد، عز الدين عبد الحميد(١٩٩٥)، حملات الغزو المغولي للشرق (فصل من شرح نهج البلاغة)، ترجمة وتعليق: مختار جبلي، دار الارماتون، باريس.

٤-الجويني ، عطا ملك (١٩١٥)، تاريخ فاتح العالم جهانكشاي، نقله للعربية محمد التونجي، دار الفلاح للطباعة.

٥-ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين بن محمد (١٩٦٨)، وفيات الأعيان وانباء ابناء الزمان، تحقيق: احسان عباس، دار صادر، بيروت.

٦-الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (١٩٩٥)، العبر في خبر من ذهب، تحقيق: ابي هاجر محمد السعيد بن بسيوني، دار الكتب العلمية، بيروت.

٧-ابن العبر، يوحنا في هارون بن توما المطلي (١٩٩٢)، تاريخ مختصر الدول، تحقيق: انطوان صالحاني اليسوعي، ط٣، دار الشرق، بيروت.

٨-أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن علي (١٩٦٠)، المختصر في اخبار البشر، المطبعة الحسينية المصرية.

٩-القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (١٩٩٧)، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت .

١٠-القفطي، جمال الدين ابن الحسن علي بن يوسف(١٩٧٣)، انباه الرواة على انباء النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة دار الكتب، القاهرة.

١١- ابن المستوفي، المبارك بن أحمد بن المبارك بن موهوب اللخمي (١٩٨٠)، نباهة البلد الخامل بمن ورده من الاماثل المعروف بتاريخ اربل، تحقيق: سامي بن السيد الصفار، منشورات دار الرشيد، العراق.

١٢-المنذري، زكي الدين أبو محمد عبد العظيم (١٩٥٧)، التكملة لوفيات النقلة، تحقيق بشار عواد معروف، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة.

١٣-ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله (٢٠١٠)، معجم البلدان، دار صادر بيروت.

١٤-اليافعي، عبد الله بن اسعد بن علي (١٩٩٧)، مراد الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، علق عليه خليل منصور، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت.

ثانياً: المراجع الحديثة:

١-التوانسي، أبو الفتوح محمد(١٩٧١) ياقوت الحموي الجغرافي الرحالة الأديب، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة.

٢-حطيط، أحمد،(١٩٩٤) حروب المغول، دار الفكر، بيروت.

٣-الخالدي، اسماعيل عبد العزيز(١٩٨٤) العلم الاسلامي والغزو المغولي، مكتبة الفلاح، الكويت.

٤-العريني: الباز(١٩٨١)، المغول، دار النهضة العربية، بيروت.

٥-اللهيبي، فتحي سالم حميدي، رياح الشرق – دراسة تاريخية شاملة للاحتلال المغولي للعراق، دار النهضة، بيروت، ٢٠١٣.

٦-نفيس، أحمد جهود المسلمين في الجغرافية، ترجمة: فتحي عثمان، مراجعة علي ادهم، دار القلم، القاهرة، ١٩٤٧.

ثالثاً: الاطاريح والمجلات:

١-الهي، د.م.ئي، ياقوت الحموي حياته ومؤلفاته، تحقيق: يوسف داود عبد القادر، مجلة المورد، بغداد، ١٩٧٨.

٢-محمود عبد الرحمن أحمد، منهج ياقوت الحموي وموارده التاريخية في كتابه معجم الأدباء، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، ١٩١٦.

٣ – معروف، بشار، الغزو المغولي كما صوره ياقوت الحموي، مجلة الاقلام، بغداد، ١٩٦٥.

R. Initial and modern reference

1. Ibn Al-Atheerm Abo Al-Hasan Ali (1997), Full in history. I. Omar Abdul salam Al-Tadmouri, Arab Book House, Beirut.

2. Al-Bakri, Abu Abdullah bin Abdul Aziz Al-Andalusi (1992), Tracls and Kingdoms, west House, W.C.

4. Huwayni, Ata Al-Molik (1915), History of the world conqureos M. Muhammad Al-Tunjl, Al-Falah House For Printing W.C.

3. Ibn Abi Hadid, Ezz AlDin Abdel Hamid (1995), The Mongolian invasion campaigns to the east, T. Makhtar jabali, Dar Amarton, Paris.
5. Ibn - Khallikan, Abu al Abbas Shams al Din bin Muhammad (1968), Senale deaths, I. Ehsan Abbas, Dar Sader, Beirut.
6. Gdden, Shams al- Din Muhammad bin Ahmed (1995), Thelessons are in gold new, I. Abi Hahar, Scientific Books house, Bierut.
7. Ibn Al-Abrejohn Ben Aaron (1992), Abrif history of States, I. Antaoine Salhani.
8. Abn al-fida, Imad al-Don bin Ismail (1960), Manual in H/uman news, the fgytianpress.
9. Qazwini, Zakaria bin Mohammed (1997), I. Abdul Salam Al-Tadmouri, Beirut.
10. Al-Qifti, Jamal al-Din Ibn al-Hasan Ali bin Yusef (1973), the narrators alerted the grammarians to the news, edited by: Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, Dar al-Kutub Press, Cairo.
11. Ibn Al-Mistoufi, Al-Mubarak bin Ahmed bin Al-Mubarak bin Mawhoub Al-Lakhmi (1980), the ingenuity of the idle country from the examples known in the history of Arbil, investigation by: Sami bin Al-Sayed Al-Saffar, Dar Al-Rasheed Publications, Iraq.
12. Al-Mundhiri, Zaki Al-Din Abu Muha,,ad Abdul Azim (1957), the Continuation of the deaths, the move, I. Basha Awad Maarouf, Muta'ah Issa Al-Bayi Al-Halabi and co., Cairo. B- Yaqoot Al- Hamwi, Shihab Al-Din Abu Abdullah (2010), Muham Al-Buldan, Dar Sadir, Beirut.
14. Al-Yafel, Abdullah bin Asaad bin Ali (1997), the mirror of paradise and the lesson of awakning in knowledgeof what are considerd events of time, C. Khalil Mansoyr, ed1, Dar Al-Kulub Al IImiyya, Beirut.

Second Modern References

1. Al-Tunisian, Abu Al-Futuh (1971), Yacout Al-Hamwi, the geographer the tralleler, Eghptian Public Autharity, Cairo.
2. Hoteit, Ahmed (1994), Mughal Wars, thought House, Beirut.
3. Wl-Arini El-Baz (1981), Al-Mongols, Renaissance House, Beirut.
4. Lahibi Fathi Salem Hamidi (2013), East winds historical Study, Renaissance house, Beirut.
5. Nafees, Ahmed (1947), The efforts of the Muslims in geography, T. fathy Othman, R. Ali Adham, Penhouse, Cairo.

The Mongols through the Traveler's Sighting" Yakut Al-Hamwi Model"

A.M.D.Wasan Ibrahim Hussain
College of Education /Ibn Rushd
Department of History

Abstract:-

Yaqut al-Hamwi is a contemporary of the event of the Mongol invasion of the information that came out However ,it is very important As he witnessed these event and witnessed some of them and was close to biting others .Yaqut wrote about the Mongol ,Conquest of cities their entry into them ,their sabot age , and their burning and killing of people .However,she was able to rise and flourish again,so he described what he hadseen and what was in his tim .

Key Words:- Mongols,YaqutAL-Humwi,Views